شمسان لا تلتقيان .. "التلميذة"

التعود .. أحيانا يكون اقوى من الحب وأخطر من الاحتياج .. التعود .. الزاحف البطيئ الخفي .. دلفت لغرفة مكتبي بهدوء يخالف طبيعتي التي اعتدت عليها .. فاليوم صباحي مختلف .. أكسر فيه عادات حميمة .. اقتربَت من قلبي ووجداني كثيرا .. لكن قدرى أن أكسرها وبيدي .. أن أبتعد وبارادتي .. لا ليس بوسعي الكذب على نفسي فالحقيقة انك اليوم تجبرني على ذلك .. اذ انه من الجَلي ان صفة المعلم والقائد والدليل التي التصقت بك منذ لقاءنا في يومي الأول هنا بعملي ستظل ملتصقة بك حتى نهاياتى .. اليوم أمارس درساً قاسياً لقتنني اياه وقلت أنه في صالح قلبي .. قلت انه رفقاً بقلبي وجب عليك الابتعاد .. وجب عليك الصد وأداء دور الحكيم حتى آخر رمق .. سحقاً .. لا أجدني مبهورة بذلك الدور بعد الآن .. فنزيف قلبي يعميني عن إدراك أي شيئ سوى فردوسي الذي أفقدتني إياه. كنت أنت ولفترة طويلة رفيق قهوتي الصباحية .. تختلط كلماتك

الحكيمة بها فتجعلني لا أكاد ألمس الأرض من فرط النشوة .. كنت أتأملك وأنا أستمع اليك تختلط كلماتك ونظراتك الناضجة مع شعيراتك البيضاء الكثيفة في لحيتك الوسيمة فلا أدري بأي منهم قد فُتِنت؟ أم بهم جميعاً .. هل أسرتني كلماتك التي نقلتني من عالمي المتواضع لعالمك الرحب المهيب .. أم اقتحمتني حكمتك التي كانت تحيط بي منذ لقاءنا الأول فتنصح وتحمي وتطمئن .. وأنت لا تدري ما هو الاطمئنان لأنثى .. لا تدرى ما الذي يمكنني أن أقدمه لرجل يطمئنني ويحميني ويربت على قلبي الخائف .. بربك .. لقد فقدت كثيراً بابتعادك عن انثى مثلي! لست أدري هل فُتنت بابتسامتك المشرقة .. منذ اليوم الأول وأنا أقول لك ان الله قد أنعم عليك بابتسامة ملؤها البشر والتفاؤل فكان النظر لك وأنت تتحدث ملهماً محبباَ .. تعودت يا حكيم .. يا طبيب القلوب .. تعودت يا من داويت قلوباً كثيرة ثم أتيت الى قلبي المسكين حين حان دوره للمداواة فألقنته دواء مريراً قررت وحدك أنه الأنسب!

أما كان عليك أن تتنازل وتستشير تلميذتك أيها المعلم .. أما كان عليك أن تستأذن مريضتك في تلقينها ذاك الدواء المر أيها

الطبيب؟ أونتَداوي بالمرار غصباً .. زفرت زفرة حادة وأنا أتطلع لمكتبي وكأنها المرة الأولى التي اجلس به .. هي كانت المرة الأولى بالفعل لكنها الأولى فى كسر العادات .. اليوم .. ساتمرد وأحتسي قهوة سادة قاسية كالتي لطالما شربتها أنت في حضرتي وأنا اتطلع اليك بانبهار مكتوم الأنفاس فالمعلم والحكيم والملهم الاول والاخير يحتسيها سادة دونما اضافات .. كنت تقول لي انك تحبها حقيقية دونما رتوش مثل النساء تماماً .. تفضلهن حقيقيات بلا أصباغ ولا زينة مبالغ فيها .. كنت تلومني ان بالغت في زينتي وتقول لي "أنَّى لهذه الاصباغ أن تدارى جمالك البكر يا بنيتي" وأنا كنت أتخيلك تدللني بـ "بنيتي" لم أكن أتخيل أنك ترى فارق السن بيننا بتلك النظرة الجائرة .. فأنا أحبك .. نعم .. أحبك ولا أراه فارقاً رهيباً فالرهيب حقاً هو إبتعادي عنك. الرهيب حقاً هو ألا تختلط أنفاسنا كل صباح .. الرهيب حقاً هو ألا تسمح لي بالتطلع لعيناك صباحاً ومساءا والابحار فيهما كيفما أشاء!

الرهيب حقاً هو أن أنفذ اليوم درسك الاخير الذى أجبرتني على تنفيذه وأن أبتعد وأن أكسر عاداتى وتعودي بيدي فأغير قهوتي

وأطلب تغيير مكان عملي وأحمل خيبتي في حبك بعيداً وأرحل حاملة معي ذكرى غير مكتملة وأمنية غير محققة وقهوة "سادة" سأجبر نفسي على تذوقها بدءا من اليوم كما سأجبر نفسي على الابتعاد والامتثال لقرارك .. هل تراني جائرة في حكمي عليك؟ وعلى حكمتك التي أوردت علاقتنا موارد الهلاك؟ تراني أنانية كل ما أتطلع له تنفيذ ارادة مشاعري فقط؟ ألم أقل أنك فقدت الكثير بقرارك البغيض بفقدي .. سامحنى يا حكيم .. لا يمكنني استساغة ما قلته لي عن شمسي التي تتخفى خلف الفجر كي تستعد للبزوغ والسطوع والزهو بعنفوانها .. وبشمسك التي تستعد للأفول .. لا يمكن للقلوب الجريحة أن تصدق وتقدر وتتعاطف .. فالجرحى ثكلى لا يشعرون سوى بآلامهم .. وشمسي لم تكن تحلم سوى بالاقتراب والاقتران الأبدي بشمسك .. ربما كانت تعاستي بالفعل في ذاك الاقتراب كما ذكرت؟ لا أعلم .. لم أعد أعلم شيئ ففترة الانسحاب يا حكيم سوداء الظلال لاهثة النبضات .. فطوبى لقلبي الهالك على أعتاب قلبك الحكيم.

***